بسم الله الرحمٰن الرحيم

الفن السابع: الحكايات والمراسلات

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. (وبعد) فهذا هو الفن السابع من الأشباه والنظائر وبه تمامه، وهو فن الحكايات والمراسلات، وهو فن واسع قد كنت طالعت فيه أواخر كتب الفتاوى، وطالعت مناقب الكردري مرارًا وطبقات عبد القادر، لكني اختصرت في هذا الكرَّاس منها الزبدة، مقتصرًا غالبًا على ما اشتمل على أحكام.

لمَّا جلس أبو يوسف رحمه الله تعالى للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمه الله فأرسل إليه أبو حنيفة رحمه الله رجلاً فسأله عن خمس مسائل:

الأولى: قصار جحد الثوب وجاء به مقصورًا؛ هل يستحق الأجْر أم لا؟ فأجاب أبو يوسف رحمه الله: يستحق الأجْر. فقال له الرجل: أخطأت. فقال: لا يستحق. فقال: أخطأت، ثم قال له: إن كانت القصارة قبل الجحود استحق، وإلا لا.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسُّنَّة؟ فقال: بالفرض. فقال أخطأت. فقال: بالسُّنَّة. فقال: أخطأت. فتحيَّر أبو يوسف رحمه الله. فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض، ورفع اليدين سُنَّة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار، فيه لحم ومرق؛ هل يؤكلان أم لا؟ فقال: يؤكل فخطأه. فقال: لا يؤكل فخطأه، ثم قال: إن كان اللحم مطبوخًا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثًا ويؤكل وتُرمى المرقة وإلا يُرمى الكل.

الرابعة: مسلم له زوجة ذميَّة ماتت وهي حامل منه؛ تُدفَن في أيِّ المقابر؟ فقال أبو يوسف رحمه الله في مقابر المسلمين. فخطأه، فقال في مقابر أهل الذمة فخطأه، فتحيَّر أبو يوسف. فقال الرجل: تدفن في مقابر اليهود؛ ولكن يُحَوَّل

وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة، لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أُم ولد لرجل، تزوَّجت بغير إذن مولاها فمات المولى، هل تجب العدَّة من المولى؟ فقال: تجب، فخطأه ثم قال: لا تجب، فخطأه. ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها لا تجب، وإلا وجبت. فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة رحمه الله فقال تزببت قبل أن تحصرم[1]. كذا في إجارات الفيض.

وفي مناقب الكردري: أن سبب انفراده أنه مرض مرضًا شديدًا فعاده الإمام وقال: لقد كنت آملك بعدي للمسلمين ولئن أصبت ليموت علم كثير، فلما برأ أعجب بنفسه وعقد له مجلس الأمالي، وقال له حين جاء: ما جاء بك إلا مسألة القصار سبحان الله من رجل يتكلم في دين الله ويعقد مجلسًا لا يحسن مسألة في الإجارة. ثم قال: مَن ظن أنه يستغني عن التعلّم فليبكِ على نفسه .(انتهى).

وقال في آخر الحاوي الحصيري مسألة جليلة في أن المبيع يملك مع المبيع أو بعده، قال أبو القاسم الصفار رحمه الله: جرى الكلام بين سفيان وبشر في العقود، متى يملك المالك بها، معها، أو بعدها؟ قال: آل الأمر إلى أن قال سفيان: أرأيت لو أن زجاجة سقطت فانكسرت أكان الكسر مع ملاقاتها الأرض أو قبلها أو بعدها؟ أو أن الله تعالى خلق نارًا في قطنة فاحترقت؛ أمع الخلق احترقت أو قبله أو بعده؟ وقد قال غير سفيان وهو الصحيح عند أكثر أصحابنا: إن الملك في البيع يقع معه لا بعده، فيقع البيع والملك جميعًا من غير تقدّم ولا تأخّر؛ لأن البيع عقد مبادلة ومعاوضة فيجب أن يقع الملك في الطرفين معًا. وكذا الكلام في سائر العقود من النكاح والخلع وغيرهما من عقود المبادلات إلى آخر ما ذكره.

وفي مناقب الكردري قال الإمام الأعظم رحمه الله: خدعتني امرأة وفقَّهتني امرأة وزهدتني امرأة. أما الأولى قال: كنت مجتازًا فأشارت إليَّ امرأة، إلى شيء مطروح في الطريق فتوهَّمت أنها خرساء، وأن الشيء لها فلما رفعته إليها قلت: احفظه حتى تسلمه لصاحبه. الثانية: سألتني امرأة عن مسألة في الحيض، فلم أعرفها، فقالت قولاً تعلَّمت الفقه من أجله. الثالثة: مررت ببعض الطرقات، فقالت امرأة: هذا الذي يصلّي الفجر بوضوء العشاء؛ فتعمدت ذلك حتى صار دأبي.

---

(١) زببت العنب جعلته زبيبًا فتزبَّب هو. الحصرم أول العنب ما دام حامضًا، وحصرم كل شيء حشفه. والمراد هنا تعجَّلت في الأمر.

وسُئِلَ الإمام رحمه الله تعالى عمَّن قال: لا أرجو الجنة، ولا أخاف النار، ولا أخاف الله تعالى، وآكل الميتة، وأُصلِّي بلا قراءة وبلا ركوع وسجود، وأشهد بما لم أره، وأبغض الحق، وأُحب الفتنة. فقال أصحابه: أمر هذا الرجل مشكل. فقال الإمام: هذا الرجل يرجو الله لا الجنة، ويخاف الله لا النار، ولا يخاف الظلم من الله تعالى في عذابه، ويأكل السمك والجراد، ويصلِّي على الجنازة، ويشهد بالتوحيد، ويبغض الموت وهو حق، ويحبّ المال والولد وهما فتنة. فقام السائل وقبَّل رأسه وقال: أشهد أنك للعلم وعاء .(انتهى).

وفي آخر فتاوى الظهيرية سُئِلَ الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الفضل عمَّن يقول: أنا لا أخاف النار ولا أرجو الجنة، وإنما أخاف الله تعالى وأرجوه. فقال قوله: إني لا أخاف النار ولا أرجو الجنة غلط؛ فإن الله تعالى خوَّف عباده بالنار بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ التي أُعِدَّتْ لِلكَافِرِين﴾ [آل عمران: ٣٠] ومَن قيل له: خف مما خوَّفك الله تعالى، فقال: لا أخاف ردًّا لذلك كفر .(انتهى).

وفي مناقب الكردري قَدِمَ قتادة الكوفة؛ فاجتمع عليه الناس، فقال: سَلوني عن الفقه فقال الإمام: ما تقول في امرأة المفقود؟ فقال قول عمر رضي الله تعالى عنه؛ تتربص أربع سنين ثم تعتد عدَّة الوفاة وتتزوَّج بما شاءت. قال: فإن جاء زوجها الأول وقال تزوَّجت وأنا حيّ، وقال الثاني تزوَّجتني ولكِ زوج. أيّهما يلاعن؟ فغضب قتادة وقال: لا أُجيبكم بشيء.

قال الإمام خرجنا مع حمَّاد نشيع الأعمش وأعوز الماء لصلاة المغرب؛ فأفتى حمَّاد بالتيمّم لأول الوقت، فقلت يؤخر إلى آخر الوقت، فإن وجد الماء وإلا يتيمَّم، ففعلت فوجد في آخر الوقت، وهذه أول مسألة خالف فيها أُستاذه. وكان للإمام جارة لها غلام أصاب منها دون الفرج فحبلت؛ فقال أهلها له كيف تلد وهي بكر؟ فقال: هل لها أحد تثق به؟ قالوا عمَّتها، فقال: تهب الغلام منها ثم تزوجها منه، فإذا أزال عذرتها ردَّت الغلام إليها فيبطل النكاح.

وخرج الإمام إلى بستان فلما رجع مع أصحابه إذ هو بابن أبي ليلى راكبًا على بغلته، فتسايرا فمرَّا على نسوة يغنِّين فسكتن، فقال الإمام أحسنتنَّ، فنظر ابن أبي ليلى في قمطره فوجد قضية فيها شهادته؛ فدعاه ليشهد في تلك القضية فلما شهد أسقط شهادته وقال قلت للمغنيات أحسنتنَّ، فقال: متى قلت ذلك؛ حين سكتن أم حين كنَّ يغنين؟ قال: حين سكتن. قال: أردت بذلك أحسنتنَّ بالسكوت، فأمضى شهادته.

وكان أبو حنيفة رحمه الله تعالى في وليمة في الكوفة وفيها العلماء والأشراف، وقد زوَّج صاحبها ابنيه من أُختين، فغلطت النساء فزفَّت كل بنت إلى غير زوجها ودخل بها. فأفتى سفيان بقضاء عليّ رضي الله عنه: على كلٍّ منهما المهر وترجع كلٌّ إلى زوجها. فسُئِلَ الإمام فقال: عليَّ بالغلامين فأُتِيَ بهما، فقال: أيحبّ كلٌّ منكما أن يكون المصاب عنده؟ قالا: نعم. فقال لكلٍّ منهما: طلِّق التي عند أخيك ففعل، ثم أمر بتجديد النكاح فقام سفيان فقبَّله بين عينيه.

وحكى الخطيب الخوارزمي أن كلب الروم أرسل إلى الخليفة مالاً جزيلاً على يد رسوله وأمره أن يسأل العلماء عن ثلاث مسائل؛ فإن هم أجابوك فقدِّم لهم المال وإن لم يُجيبوك فاطلب من المسلمين الخراج. فسأل العلماء فلم يأتِ أحد بما فيه مقنع، وكان الإمام إذ ذاك صبيًّا حاضرًا مع أبيه؛ فاستأذنه في جواب الرومي فلم يأذن له، فقام واستأذن من الخليفة فأذِنَ له، وكان الرومي على المنبر فقال له: أسائل أنت؟ قال: نعم. قال: انزل؛ مكانك الأرض ومكاني المنبر. فنزل الرومي وصعد أبو حنيفة رحمه الله تعالى. فقال: سَل. فقال: أيّ شيء كان قبل الله تعالى؟ قال: هل تعرف العدد؟ قال: نعم. قال: ما قبل الواحد؟ قال: هو الأول ليس قبله شيء. قال: إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظي شيء، فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي؟ فقال الرومي: في أيِّ جهة وجه الله تعالى؟ قال: إذا أوقدت السراج؛ فإلى أيّ وجه نوره؟ قال: ذاك نور يستوي فيه الجهات الأربع. فقال: إذا كان النور المجازي المستفاد الزائل لا وجه له إلى جهة، فنور خالق السمٰوات والأرض الباقي الدائم المفيض؛ كيف يكون له جهة؟ قال الرومي: بماذا يشتغل وجه الله تعالى؟ قال: إذا كان على المنبر مشبه مثلك نزله، وإذا كان على الأرض موحِّد مثلي رفعه، كل يوم هو في شأن. فترك المال وعاد إلى الروم.

احتاج الإمام إلى الماء في طريق الحاج؛ فساوم أعرابيًّا قربة ماء؛ فلم يبعه إلا بخمسة دراهم فاشتراه بها. ثم قال له: كيف أنت بالسويق؟ فقال أُريده، فوضعه بين يديه فأكل ما أراد وعطش فطلب الماء فلم يعطه حتى اشترى منه شربة بخمسة دراهم.

وصية الإمام الأعظم

لأبي يوسف رحمه الله بعد أن ظهر له منه الرشد وحُسْن السيرة والإقبال على الناس. فقال له: يا يعقوب وقِّر السلطان وعظِّم منزلته، وإياك والكذب بين يديه

والدخول عليه في كل وقت ما لم يدعك لحاجة عليه، فإنك إذا أكثرت إليه الاختلاف تهاون بك وصغرت منزلتك عنده، فكن منه كما أنت من النار، تنتفع وتتباعد ولا تدنُ منها، فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه، وإياك وكثرة الكلام بين يديه؛ فإنه يأخذ عليك ما قلته ليري من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك وأنه يخطئك فتصغر في أعين قومه، ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك، ولا تدخل عليه وعنده من أهل العلم مَن لا تعرفه؛ فإنك إن كنت أدوَن حالاً منه لعلك تترفَّع عليه فيضرّك، وإن كنت أعلم منه لعلك تحطّ عنه فتسقط بذلك من عين السلطان. وإذا عرض عليك شيئًا من أعماله فلا تقبل منه إلا بعد أن تعلم أنه يرضاك ويرضى مذهبك في العلم والقضايا؛ كيلا تحتاج إلى ارتكاب مذهب غيرك في الحكومات. ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته بل تقرب إليه فقط وتباعد عن حاشيته ليكون مجدك وجاهك باقيًا. ولا تتكلم بين يدي العامَّة إلا بما تسأل عنه، وإياك والكلام في العامَّة والتجَّار إلا بما يرجع إلى العلم؛ كيلا يوقف على حبك ورغبتك في المال؛ فإنهم يُسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم. ولا تضحك ولا تتبسم بين يدي العامَّة، ولا تكثر الخروج إلى الأسواق ولا تكلِّم المراهقين؛ فإنهم فتنة، ولا بأس أن تكلم الأطفال وتمسح رؤوسهم، ولا تمشِ في قارعة الطريق مع المشايخ والعامَّة؛ فإنك إن قدَّمتهم ازدرى ذلك بعلمك وإن أخَّرتهم ازدري[1] بك من حيث إنه أسنّ منك، فإن النبي ﷺ قال: «مَن لم يرحم صغيرنا ولم يوقِّر كبيرنا فليس منَّا»[2].

ولا تقعد على قوارع الطريق؛ فإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد، ولا تأكل في الأسواق والمساجد، ولا تشرب من السقايات ولا من أيدي السقَّائين. ولا تقعد على الحوانيت ولا تلبس الديباج والحليّ وأنواع الإبريسم، فإن ذلك يُفضي إلى الرعونة.

ولا تُكثِر الكلام في بيتك مع امرأتك في الفراش إلا وقت حاجتك إليها بقدر ذلك، ولا تكثر لمسها ومسّها ولا تقربها إلا بذكر الله تعالى، ولا تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها ولا بأمر الجواري؛ فإنها تنبسط إليك في كلامك ولعلك إذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن الرجال الأجانب.

---

(١) الذي في القاموس: زرى عليه زريًا وزرية وزراية بالكسرة عابَهُ واستهزأ به، وأزرى به إزراء تهاون به. وعلى هذا يكون الصواب (ازدرى ذلك بعلمك) لأن ازدرى يتعدَّى بنفسه. تقول ازدريت الأمر.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البرّ باب ١٥. وأبو داود في كتاب الأدب باب ٥٨. وأحمد في مسنده (١/ ٣٥٧).

ولا تتزوج امرأة كان لها بعل أو أب أو أُم أو بنت إن قدرت، إلا بشرط ألاَّ يدخل عليها أحد من أقاربها[1] فإن المرأة إذا كانت ذات مال يدَّعي أبوها أن جميع مالها له وأنه عارية في يدها، ولا تدخل بيت أبيها ما قدرت، وإياك أن ترضى أن تُزَفّ في بيت أبويها؛ فإنهم يأخذون أموالك ويطمعون فيها غاية الطمع، وإياك وأن تتزوج بذات البنين والبنات؛ فإنها تدَّخر جميع المال لهم وتسرق من مالك وتنفق عليهم، فإن الولد أعزّ عليها منك. ولا تجمع بين امرأتين في دار واحدة. ولا تتزوج إلا بعد أن تعلم أنك قادر على القيام بجميع حوائجها.

واطلب العلم أولاً ثم اجمع المال من الحلال. ثم تزوَّج؛ فإنك إن طلبت المال في وقت التعلّم عجزت عن طلب العلم ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم؛ فيضيع وقتك ويجتمع عليك الولد ويكثر عيالك فتحتاج إلى القيام بمصالحهم وتترك العلم. واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك وقت فراغ قلبك وخاطرك ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك؛ فإن كثرة الولد والعيال يشوِّش البال؛ فإذا جمعت المال فتزوَّج، وعليك بتقوى الله تعالى وأداء الأمانة والنصيحة لجمع الخاصَّة والعامَّة، ولا تستخفّ بالناس، ووقِّر نفسك ووقِّرهم، ولا تُكثِر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك، وقابل معاشرتهم بذكر المسائل؛ فإنه إن كان من أهله اشتغل بالعلم، وإن لم يكن من أهله أحبك. وإياك وأن تكلِّم العامَّة بأمر الدين في الكلام؛ فإنهم قوم يقلِّدونك فيشتغلون بذلك. ومَن جاءك يستفتيك في المسائل؛ فلا تجب إلا عن سؤاله ولا تضمّ إليه غيره؛ فإنه يشوِّش عليك جواب سؤاله. وإن بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تُعرِض عن العلم؛ فإنك إذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكًا. وأقبِل على متفقِّهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنًا وولدًا لتزيدهم رغبة في العلم، ومَن ناقشك من العامَّة والسوقة فلا تناقشه؛ فإنه يُذهِب ماء وجهك، ولا تحتشم من أحد عند ذكر الحق وإن كان سلطانًا. ولا ترضَ لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك ويتعاطاها[2] فالعامَّة إذا لم يروا منك الإقبال عليها بأكثر مما يفعلون اعتقدوا فيك قلَّة الرغبة واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه.

---

(١) قال الحموي ص ٢٢٦ في غمز عيون البصائر: (والتقدير بشرط ألا يدخل عليها أحد من أقاربها، وبشرط ألاَّ تدخل هي في بيت أبيها. هذا تقرير كلامه. وفيه نظر فتدبَّر).

(٢) الصواب فيه (يتعاطاه) بالتذكير. وإلا عاد الضمير على العبادات.

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم؛ فلا تتخذها لنفسك، بل كن كواحد من أهلهم ليعلموا أنك لا تقصد جاههم، وإلا يخرجون عليك بأجمعهم ويطعنون في مذهبك، والعامَّة يخرجون عليك وينظرون إليك بأعينهم فتصير مطعونًا عندهم بلا فائدة، وإن استفتوك في المسائل فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات، ولا تذكر لهم شيئًا إلا عن دليل واضح، ولا تطعن في أساتذتهم، فإنهم يطعنون فيك، وكن من الناس على حذر، وكن لله تعالى في سرِّك كما أنت له في علانيتك، ولا تُصلِح أمر العلم إلا بعد أن تجعل سرّه كعلانيته، وإذا أولاك[1] السلطان عملاً لا يصلح لك فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن تعلم أنه إنما لا يوليك ذلك إلا لعلمك. وإياك وأن تتكلم في مجلس النظر على خوف؛ فإن ذلك يورث الخلل في الإحاطة والكل في اللسان. وإياك أن تُكثِر الضحك؛ فإنه يُميت القلب، ولا تمشِ إلا على طمأنينة، ولا تكن عجولاً في الأمور، ومَن دعاك من خلفك فلا تجبه؛ فإن البهائم تنادي من خلفها.

وإذا تكلمت فلا تكثر صياحك ولا ترفع صوتك واتخذ لنفسك السكون وقلَّة الحركة عادة؛ كي يتحقق عند الناس ثباتك. وأكثِر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلَّموا ذلك منك، واتَّخذ لنفسك وردًا خلف الصلاة؛ تقرأ فيها القرآن وتذكر الله تعالى وتشكره على ما أودعك من الصبر وأولاك من النِّعَم. واتخذ لنفسك أيامًا معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقتدي غيرك بك.

وراقب نفسك وحافظ على الغير لتنتفع من دنياك وآخرتك بعلمك. ولا تشترِ بنفسك ولا تبع، بل اتخذ لك غلامًا مصلحًا[2] يقوم بأشغالك وتعتمد عليه في أُمورك.

ولا تطمئن إلى دنياك وإلى ما أنت فيه؛ فإن الله تعالى سائلك عن جميع ذلك. ولا تشترِ الغلمان المردان، ولا تُظهِر من نفسك التقرّب إلى السلطان وإن قرَّبك؛ فإنه تُرفَع إليك الحوائج فإن قمت أهانك، وإن لم تقم أعابك.

ولا تتبع الناس في خطئهم بل اتَّبعهم في صوابهم، وإذا عرفت إنسانًا بالشر فلا تذكِّره به، بل اطلب منه خيرًا فاذكره به، إلا في باب الدين؛ فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كيلا يتَّبعوه ويحذروه، وقال عليه السلام: «اذكروا الفاجر بما فيه

---

(١) في القاموس المحيط: أوليته الأمر: ولَّيته إياه. وعلى ذلك يكون قول العلاَّمة الحموي (الصواب ولاَّك من التولية) فيه نظر.

(٢) المراد غلام يصلح ما يقوم به ولا يفسده، ويكون أمينًا.

حتى يحذره الناس، وإن كان ذا جاه ومنزلة». والذي ترى منه الخلل في الدين فاذكر ذلك ولا تُبالِ من جاهه، فإن الله تعالى مُعينك وناصرك وناصر الدين؛ فإذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين.

وإذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم؛ فاذكر ذلك مع طاعتك إياه فإن يده أقوى من يدك؛ تقول له أنا مُطيع لك في الذي أنت فيه سلطان ومسلط عليّ، غير أني أذكر من سيرتك ما لا يوافق العلم، فإذا فعلت مع السلطان مرة كفاك لأنك إذا واظبت عليه ودمت لعلهم يقهرونك فيكون في ذلك قمع للدين، فإذا فعل ذلك مرة أو مرتين ليعرف منك الجهد في الدين والحرص في الأمر بالمعروف؛ فإذ فعل ذلك مرة أخرى، فادخل عليه وحدك في داره وانصحه في الدين وناظره إن كان مبتدعًا، وإن كان سلطانًا فاذكر له ما يحضرك من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسول الله ﷺ فإن قبل منك وإلا فاسأل الله تعالى أن يحفظك منه.

واذكر الموت واستغفر للأستاذ ومَن أخذت عنهم العلم وداوم على التلاوة وأكثِر من زيارة القبور والمشايخ[1] والمواضع المباركة، واقبل من العامَّة ما يعرضون عليك من رؤياهم في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي رؤيا الصالحين في المساجد والمنازل والمقابر، ولا تُجالس أحدًا من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين، ولا تُكثِر اللعب والشتم[2]. وإذا أذَّن المؤذِّن فتأهَّب لدخول المسجد كيلا تتقدم عليك العامَّة، ولا تتخذ دارك في جوار السلطان، وما رأيت على جارك فاستره عليه فإنه أمانة.

ولا تُظهِر أسرار الناس، ومَن استشارك في شيء فأشِر عليه بما تعلم أنه يقرِّبك إلى الله تعالى.

واقبل وصيتي هذه؛ فإنك تنتفع بها في أولاك وأُخراك، إن شاء الله تعالى. وإياك والبخل فإنه يبغض به المرء، ولا تَكُ طمَّاعًا ولا كذَّابًا ولا صاحب تخليط، بل احفظ مروءتك في الأمور كلها.

والبس من الثياب البيض في الأحوال كلها، وأظهر غِنا القلب مُظهِرًا من نفسك قلَّة الحرص والرغبة في الدنيا، وأظهِر من نفسك الغناء، ولا تُظهِر الفقر وإن كنت فقيرًا، وكن ذا هِمَّة؛ فإن مَن ضَعُفَت همَّته ضَعُفَت منزلته.

---

(١) لعله يقصد العلماء الذين ننتفع بعلمهم وتجاربهم في الحياة.

(٢) قال الحموي ص ٣٢٨ في غمز عيون البصائر: (لا يلزم من النهي عن كثرة اللعب والشتم النهي عن أصل اللعب والشتم، مع أنهما منهيٌّ عنهما شرعًا. فلو قال: لا تلعب ولا تشتم لكان صوابًا).

وإذا مشيت في الطريق، فلا تلتفت يمينًا ولا شمالاً، بل داوم النظر إلى الأرض، وإذا دخلت الحمام؛ فلا تساوِ الناس في أُجرة الحمام والمجلس، بل أرجح على ما تعطي العامَّة لتُظهِر مروءتك بينهم فيعظِّمونك، ولا تسلم الأمتعة إلى الحائك وسائر الصّنّاع بل اتخذ لنفسك ثقة يفعل ذلك؛ ولا تماكس بالحبَّات والدوانيق، ولا تزن الدراهم بل اعتمد على غيرك.

وحقِّر الدنيا المحقَّرة عند أهل العلم؛ فإن ما عند الله خير منها، وولِّ أُمورك غيرك ليمكنك الإقبال على العلم فإن ذلك أحفظ لحاجتك.

وإياك أن تكلِّم المجانين ومَن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس، فإنهم يطلبون تخجيلك ولا يُبالون منك، وإن عرفوك على الحق.

وإذا دخلت على قوم كبار فلا ترفع عليهم ما لم يرفعوك؛ كيلا يلحق بك منهم أذيَّة، وإذا كنت في قوم فلا تتقدَّم عليهم في الصلاة ما لم يقدِّموك على وجه التعظيم.

ولا تدخل الحمام وقت الظهيرة والغداة، ولا تخرج إلى النظارات ولا تحضر مظالم السلاطين؛ إلا إذا عرفت أنك إذا قلت شيئًا ينزلون على قولك بالحق، فإنهم إن فعلوا ما لا يحلّ وأنت عندهم ربما لا تملك منعهم ويظن الناس أن ذلك حق لسكوتك فيما بينهم وقت الإقدام عليه.

وإياك والغضب في مجلس العلم، ولا تقصّ على العامَّة؛ فإن القاصّ لا بدَّ له أن يكذب وإذا أردت اتخاذ مجلس لأحد من أهل العلم؛ فإن كان مجلس فقه فاحضر بنفسك واذكر فيه ما تعلمه وإلا فلا، كيلا يغترّ الناس بحضورك فيظنون أنه على صفة من العلم وليس هو على تلك الصفة، وإن كان يصلح للفتوى فاذكر منه ذلك وإلا فلا، ولا تقعد ليدرس الآخر بين يديك، بل اترك عنده من أصحابك ليخبرك بكيفية كلامه وكمية علمه. ولا تحضر مجالس الذكر أو مَن يتخذ مجلس وعظ بجاهك وتزكيتك له، بل وجّه أهل محلتك وعامَّتك الذين تعتمد عليهم مع واحد من أصحابك.

وفوِّض أمر المناكح إلى خطيب ناحيتك، وكذا صلاة الجنازة والعيدين. ولا تنسني من صالح دعائك، واقبل هذه الموعظة منِّي، وإنما أُوصيك لمصلحتك ومصلحة المسلمين. (انتهى).

وفي آخر تلقيح المحبوبي قال الحاكم الجليل: نظرت في ثلاثمائة جزء مثل الأمالي ونوادر ابن سماعة حتى انتقيت كتاب المنتقى، وقال حين ابتلي بمحنة القتل بمرو من جهة الأتراك: هذا جزاء مَن آثر الدنيا على الآخرة. والعالِم متى أخفى علمه وترك حقه خِيفَ عليه أن يمتحن بما يسوءه.

وقيل كان سبب ذلك أنه لمَّا رأى في كتب محمد مكررات وتطويلات خلسها وحذف مكررها، فرأى محمدًا رحمه الله تعالى في منامه. فقال: لِمَ فعلت هذا بكتبي؟ فقال: لأن في الفقهاء كسالى فحذفت المكرر وذكرت المقرر تسهيلاً فغضب وقال: قطعك الله كما قطعت كتبي فابتلي بالأتراك حتى جعلوه على رأس شجرتين فتقطع نصفين رحمه الله تعالى.

(تمَّ الكتاب. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وله الفضل والمنَّة في الأولى والآخرة).